

مجلة بحوث كلية الآداب
جامعة المنوفية

البحث
٢

الوظائف النحوية والدلالية للفاء
في ديوان امرئ القيس

إعداد

د / محمد محمد عبد المقصود

كلية التربية - جامعة المنصورة

محكمة تصدورها كلية آداب المنوفية

أكتوبر ٢٠٠٤

العدد التاسع والخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الوظائف النحوية والدلالية للفاء

فى ديوان امرئ القيس

د. محمد محمد عبد المقصود

كلية التربية - جامعة المنصورة

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ؛ سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .
وبعد ،

فموضوع هذا البحث الوظائف النحوية والدلالية للفاء فى ديوان امرئ القيس ، ويقصد بها دراسة الأساليب التى جاءت فيها الفاء ، وبيان وظيفتها النحوية والدلالية ، ومدى اتفاقها واختلافها مع ما قرره النحاة .

وتكمن مشكلة البحث فيما أثاره النحاة من خلاف حول دلالة الفاء ، فهى تقيد الترتيب والتعقيب عند البصريين ، ونسب إلى الكوفيين أنها لا تدل على الترتيب مطلقا ، واختلف فى العطف بها فى الأماكن والأمطار ، فذهب بعضهم إلى أنها بمعنى الواو ، وخطأ بعضهم امرأ القيس فكان الأصمعى يقول : " أخطأ امرؤ القيس وكان من حق العربية عليه أن يقول : بين الدخول وحومل " (١) . إلى غير ذلك من تناقضات مثيرة وآراء مختلفة ، فأراد البحث أن يدرس وظائف الفاء نحويا ودلاليا من خلال نص لغوى موثق ، فاختار ديوان امرئ القيس ليكون محلا لهذه الدراسة ، ورجحه عند البحث ما رآه الباحث أثناء مطالعته له قديما من استعمال امرئ القيس للفاء ، استعمالا يكاد يكون علما عليه ، فهو يؤثر الفاء فى عطف الأماكن ، وفى تصويره للصيد والفرس والمرأة . فالفاء عنده لا تكون أداة للربط بين عناصر التركيب اللغوى فحسب ، بل يستعملها أيضا أداة تساعد على رسم الصورة الفنية ونمو أحداثها وترباطها .

ويهدف البحث من وراء ذلك إلى الإجابة على الأسئلة الآتية:

- هل زعم الكوفيون أن الفاء تدل على مطلق الجمع كما نسب إليهم كبار النحاة كابن هشام والمرادى والمالقي وغيرهم ؟

- هل أخطأ امرؤ القيس في اختياره الفاء في عطفه على الأماكن ؟
- ما مدى دلالة الفاء على الترتيب عند امرئ القيس ؟
- ما مستويات السرعة التي تؤديها الفاء متضافرة مع عناصر التركيب ؟
- ما حقيقة الفاء الواقعة في جواب الشرط ، وارتباط ما بعدها بما قبلها من ترتيب وسرعة ؟
- ما أسباب الخلاف بين النحاة في دلالة الفاء على الترتيب والسرعة ؟
- ما الدلالات التي تؤديها الفاء في السياق غير الترتيب والسرعة ؟

وأما المصدر الأساسى للدراسة فهو ديوان امرئ القيس فى صحيحه دون منحوه والطبعة التى اعتمد عليها البحث هى طبعة دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩ ، وهى تحقيق الأستاذ / محمد أبو الفضل إبراهيم ، من رواية الأصمعى من نسخة الأعلام ، ورواية المفضل من نسخة الطوسى .

ومن أهم الأسس التى يعتمد عليها البحث :

- جمع التراكيب اللغوية التى جاءت فيها الفاء فى ديوان امرئ القيس .
- دراسة الفاء فى كتب النحو واللغة .
- تصنيف السياقات المختلفة للفاء تصنيفا دلاليا .
- تحليل هذه السياقات تحليلا نحويا ودلاليا .
- استنتاج ما ترى الدراسة أنه أقرب إلى طبيعة اللغة .
- حل المشكلات اللغوية التى قد تعترض البحث مستندا إلى التحليل الدلالي للتراكيب المختلفة .

خطة البحث :

تقتضى طبيعة البحث أن ينقسم قسمين تسبقهما مقدمة وتتلوهما خاتمة . وفى المقدمة يكون الحديث عن الموضوع وأهميته وسبب اختياره ، ومشكلة البحث والأهداف التى يقصد إليها البحث والمنهج الذى سار عليه البحث .

ويتحدث القسم الأول عن الإطار النظرى للبحث فتدرس فيه آراء النحاة واللغويين .

أما القسم الثانى فيتحدث عن الجانب التطبيقى للبحث وتدرس فيه الدلالات المختلفة للفاء

فى ديوان امرئ القيس ، ويشمل ذلك عدة مجالات هى :

- أولا : الفاء والدلالة على الترتيب .
- ثانيا : الفاء والدلالة على التعقيب .

ثالثا : الفاء فى جواب الشرط .

رابعا : الفاء والتصوير .

خامسا : الفاء ودلالات أخرى .

وتأتى الخاتمة لتدون فيها النتائج ثم قائمة بالمصادر و المراجع .

وبعد ، فوجه الله قصدت ، مالى مأرب سواه ، والنقصير سمة من سمات العبد ،
والكمال ينشد ، وعلى الله قصد السبيل .

القسم الأول : الجانب النظرى

تمهيد :

الفاء : حرف من حروف المعجم ، وهو حرف مهموس يخرج " من باطن الشفة السفلى ، وأطراف الثنايا العليا " (١)

وتستعمل الفاء أداة من أدوات الربط فى التركيب اللغوى ، وليس لها معنى معجمى ، وتشترك مع سائر الأدوات فى أن لها معنى وظيفيا ، لأن : " المعانى التى تؤديها الأدوات جميعا هى نوع من التعبير عن علاقات فى السياق . وواضح أن التعبير عن العلاقة معنى وظيفى لا معجمى ، فلا بيئة للأدوات خارج السياق ، لأن الأدوات ذات افتقار متأصل إلى الضمان ، أو بعبارة أخرى ذات افتقار متأصل إلى السياق " (٢)

والفاء عنصر من عناصر السياق ، تقوم فى السياق بالربط بين المعطوف والمعطوف عليه ، على نحو من الأنحاء ، وتظهر دلالتها فى التراكيب العطفية - مفيضة على السياق ومفيضا عليها السياق . ونظرا لتعدد السياقات تتعدد الدلالات التى ترتبط بوجود الفاء فى التركيب .

وهناك دلالة لا تفارق الفاء ، وهى دلالتها على :

الإيجاز والاختصار :

ويظهر هذا جليا إذا كان المعطوف والمعطوف عليه مفردين ، مثل قولنا : حضر محمد فخالد .

فالمستفاد من هذه العبارة ما يلى :

١- الكتاب ٤ / ٤٣٤ .

٢- اللغة العربية ، معناها ومبناها ، ١٢٧ .

حضور محمد

حضور خالد

حضور خالد تلا حضور محمد بلا مهلة .

كل هذه المعانى استقيدت من العبارة السابقة ، أى إنه إذا كانت البنية السطحية الظاهرة:

حضر محمد فخالد ، فإن البنية العميقة تعنى :

حضر محمد - حضر خالد

كان حضور خالد تاليا لحضور محمد مباشرة .

ويرى أكثر النحاة أن الفاء حرف مهمل ، لا يعمل ، لكنه ينقل أثر العامل من المعطوف

عليه إلى المعطوف ، ويظهر ذلك فى عطف المفردات وما فى حكمها^(١).

وللفاء وظائف دلالية - بالإضافة إلى إفادتها الإيجاز والاختصار - تؤديها فى السياق ،

أهمها الجمع بين المتعاطفين والترتيب والتعقيب .

أ - الجمع بين المتعاطفين :

والمراد بالجمع بين المتعاطفين : " الاجتماع فى الحصول فى عطف الجمل التى لا

محل لها فى الإعراب ، وفى نسبة العامل إلى المتعاطفين أو المتعاطفات فى غير ذلك لا

الاجتماع فى زمان ومكان " ^(٢)

١- يرى الكوفيون أن الفاء قد تجر الاسم فى مثل قول امرئ القيس :

فمئلك حبلى قد طرقت ومرضعا فالهيتهن عن ذى تمام مغيل

ديوان امرئ القيس ١٢

ويؤوله البصريون على تقدير : رب

ويرون أنها تنصب المضارع فى مثل قول امرئ القيس

بأرض الروم لا نسب قريب ولا شفاف فيسند أو يعودا

ديوانه ٢١٤

وقوله :

لعمرك ما قلبى إلى أهله بحر ولا مقصر يوما فيأتينى بقر

ديوانه ١٠٩

والبصريون يقولون : إن الناصب هو (أن) مضمرة بعد الفاء ، انظر الإنصاف فى مسائل الخلاف

٥٢٩/٢ - ٥٣٤

٢- حاشية الصبان ٣ / ١٣٤ .

وعن هذا الجمع يقول سيبويه : " والفاء تضم الشيء إلى الشيء ، كما فعلت الواو " (١)
ويقول أيضا : " من ذلك قولك مررت بزيد فعمره " ومررت برجل فامرأه ، فالفاء
أشركت بينهما في المرور " (٢)

أى إن إمام النحاة يرى أن الفاء تجعل المعطوف والمعطوف عليه مشتركين فى نسبة
العامل إليهما ، " فالفاء أشركت بينهما فى المرور ، فكل من زيد (المعطوف عليه) وعمره
(المعطوف) قد اشتركا فى نسبة المرور إليهما ، وكذا (رجل) و (امرأة) .

ويعنى بالتشريك " فى عرف النحاة مشاركة المعطوف للمعطوف عليه فى الإعراب وما
يتبعه من أحكام ، كأن يكون شريكا فى الفاعلية إذا عطف على الفاعل ، والمفعولية إذا عطف
على المفعول ، ويستتبع بالضرورة الاشتراك فى الفعل " (٣)

ب . الترتيب :

يرى أكثر النحاة أن الفاء تدل على الترتيب بين المعطوف والمعطوف عليه ،
فالمعطوف عليه وقع أولا وتلاه المعطوف ، يقول سيبويه : " ومنه : مررت برجل راكب
فذاهب ، استحقهما إلا أنه بين أن الذهاب بعد الركوب " (٤).

أى إن المعطوف (ذاهب) وقع بعد المعطوف عليه (راكب) ويقول أيضا : " ومما
يدل على أن الفاء ليست كالواو قولك : مررت بزيد وعمره ، ومررت بزيد فعمره ، تريد
أن تعلم بالفاء أن الآخر مر به بعد الأول " (٥). ويقول المبرد : " الفاء توجب أن الثانى بعد
الأول " (٦).

ومما سبق يتضح أن دلالة الفاء على الترتيب عند سيبويه ، ومن تبعه دلالة حتمية
لازمة ، فحيث وجدت الفاء بين متعاطفين وجب أن يكون " الثانى بعد الأول " ، وهم بذلك إنما
يعطون الفاء الدور المتحكم فى دلالة الترتيب ، ويتجاهلون دور السياق بعناصره المختلفة فى
الدلالة على الترتيب ، والفاء ما هى إلا عنصر من عناصر السياق.

١- الكتاب ٣ / ٤٣ .

٢- الكتاب ١ / ٤٣٨ .

٣- الواو ومواقعها فى القرآن ٣٦ ، رسالة دكتوراه ، د. محمد الأمين الخضرى ١٤٠٣هـ ، جامعة الأزهر ،
كلية اللغة العربية .

٤- الكتاب ١ / ٤٢٩ .

٥- الكتاب ٣ / ٤٢ .

٦- المقتضب ١ / ١٤٨ .

وقوله: (أهلكناها فجاءها) قد يكونان خبرا بالواو : أهلكناها وجاءها البأس بيانا^(١) وهكذا نرى أن الفراء قد وقف متسانلا : يقال : إنما أتاها البأس من قبل الإهلاك ، فكيف تقدم الهلاك ؟ "

ولو أن العطف قد تم بالواو ما كان هناك وجه للتساؤل إذا فالفراء يدرك أن العطف بالفاء يدل على الترتيب ، فلما جاء ظاهر العطف في هذه الآية غير دال على الترتيب وقف الفراء متسانلا كما سبق .

ولا يقولن أحد إن الفراء هنا لا يتحدث عن الفاء ، فإجابته تؤكد ذلك : " قلت لأن الهلاك والبأس يقعان معا ، كما تقول أعطيتني فأحسننت ، فلم يكن الإحسان بعد الإعطاء ولا قبله ، إنما وقعا معا ، فاستجيز ذلك " ^(٢)

من هذا يتبين أن الفراء يحاول الإجابة عن سبب تقدم المعطوف بالفاء على المعطوف عليه بها . مما يدل على أنه يرى أن الفاء تدل على الترتيب .

وذكر الفراء رأيا آخر للخروج من سبق المعطوف بالفاء للمعطوف عليه بها (مخالفة الترتيب) فيقدر فعلا ماضيا قبل المعطوف ليدل على سبقه الزمني . أى إنه يحاول إثبات أن الفاء تدل على الترتيب ، يقول الفراء " وإن شئت كان المعنى : وكم من قرية أهلكناها فكان مجيء البأس قبل الإهلاك فأضمرت كان " ^(٣) فتقديره للفعل الماضى (كان) قبل (جاءها بأسنا) محاولة منه لإبقاء الفاء على دلالتها على الترتيب .

٣ - وذكر الفراء رأيا ثالثا للخروج من ظاهر الآية الدال على أن الفاء لا تدل على الترتيب ، فذكر أن الفاء هنا قد تكون بمعنى الواو التى لا تدل على الترتيب ، قال الفراء : " وقوله : (أهلكناها فجاءها) قد يكونان خبرا بالواو : أهلكناها وجاءها البأس بيانا " ^(٤)

أى إن الفراء يدرك تماما أن الواو لا تفيد الترتيب ، ويدرك تماما أن الفاء تفيد الترتيب وأمام الخروج مما ظاهره عدم دلالة الفاء على الترتيب أول الفاء بمعنى الواو ليستقيم المعنى . إذا فالأصل عنده أن الفاء تدل على الترتيب ، وما خالف هذا أوله .

١- معانى القرآن للفراء ١ / ٣٧١ ، ٣٧٢ . تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ، محمد على النجار ، دار السرور، دت .

٢- معانى القرآن ١ / ٣٧١ .

٣- معانى القرآن ١ / ٣٧١ .

٤- معانى القرآن ١ / ٣٧٢ .

ولقد أول البصريون أنفسهم الآية السابقة للخروج مما ظاهره أن الفاء لا تدل على الترتيب ، فذكروا أن الأمر على تقدير محذوف ، فالمعنى عندهم " وكم من قرية أردنا إهلاكها". قال فى المعنى : " وأجيب بأن المعنى أردنا إهلاكها ، أو بأنها للترتيب الذكرى "(١)، وأول بعضهم الفاء فى مثل الآية الكريمة السابقة على أنها بمعنى الواو ، أى لمطلق الجمع (٢) . وذكر الأخفش وقطرب أن الفاء تأتى بمعنى الواو (٣).

إذا فقد أول الفراء ما جاء مخالفا لدلالة الفاء على الترتيب ، كما أول البصريون ، فالفاء دالة على الترتيب عند البصريين والكوفيين .

الآية الثانية : * فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها * الشمس ، الآيتان ١٤ ، ١٥

قال الفراء : " وقوله عز وجل : (ولا يخاف عقباها) أهل المدينة يقرعون (فلا يخاف عقباها) بالفاء ، وكذلك هى فى مصاحفهم ، وأهل الكوفة والبصرة : (ولا يخاف عقباها) بالواو ، والواو فى التفسير أجود ، لأنه جاء : عقرها ولم يخف عاقبة عقرها ، فالواو ها هنا أجود ، ويقال لا يخاف عقباها ، لا يخاف الله أن ترجع وتعقب بعد إهلاكه ، فالفاء بهذا المعنى أجود من الواو ، وكل صواب " (٤)

فالفراء يرجح الواو إذا كان المنفى عنه الخوف هو العاقر ، لأن الواو لا تفيد الترتيب ، والأصل أنه لم يخف فعقر ، ولو خاف ما عقر ، فالخوف مقدم فى المعنى على العقر ، فكان مقتضى إذا أراد الترتيب : لم يخف فعقر ، لأن الخوف من عاقبة العقر مقدم على العقر . لكنه عدل عن الترتيب وذكر : عقر ولم يخف ، فالأجود الواو لعدم دلالتها على الترتيب .

ويرجح الفراء الفاء إذا كان المنفى عنه الخوف هو الله سبحانه وتعالى ، وذلك أن الترتيب غضب الله فانتقم فلا يخاف أن ترجع وتعقب بعد إهلاكه ، ويناسب الدلالة على هذا الترتيب أن يعطف بالفاء .

فالفراء يرجح العطف بالفاء إذا كانت هناك دلالة على الترتيب ، مما يؤكد أنه يعنى ويقصد دلالة الفاء على الترتيب .

١- المعنى ١ / ١٨٣ .

٢- الأزهية فى علم الحروف ٢٥٤ .

٣- الصاحبى ٧٢ .

٤- معاني القرآن ٣ / ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

ومن ذلك قوله أيضا :
 قد أتته الوحش وارده
 فتحى النزع من يسره
 فرماها فى فرائصها
 بإزاء الحوض أو عقره (١)

فالمعطوف عليه (إتيان الوحش) سابق للمعطوف (استعداد للرمى) ، (تنحى
 النزع) سابق لـ (رماها فى فرائصها)

فالترتيب الزمنى محقق هما :

والترتيب الزمنى هو ما ذكره سيبويه ، والنحاة المتقدمون (٢) وأطلقوا عليه الترتيب
 فقط ، وسماء المتأخرون : الترتيب المعنوى ، والأولى أن نسميه الترتيب الزمنى ، لأنه قائم
 على أساسه .

٢- ترتيب دلالي وهو نوعان :

أ - عطف مفصل على مجمل هو هو فى المعنى كقولك : توضأ فغسل وجهه ويديه ، ومسح
 برأسه ورجليه ، ومنه قوله تعالى : (ونادى نوح ربه فقال رب) (هود : ٤٥)

ومن أمثلة ذلك قول امرئ القيس : (٣)

ويخضد فى الآرى حتى كأنما
 به عرة من طائف غير معقب
 فيوما على سرب نقى جلوده
 ويوما على بيدانة أم تولب (٤)

فهو يصف فرسه بالنشاط وكثرة الحركة ، ثم يفصل هذا بمطاردته للبقرة الوحشية تارة
 ومطاردته للأتان التى تعيش فى البيد لا تقرب الناس (بيدانة) تارة أخرى .

ب - ترتيب رتبى : وهو ما يسميه النحاة : عطف لمجرد المشاركة فى الحكم بحيث يحسن
 الواو

ويستشهد العلماء لذلك بأبيات للنابغة الذبياني ، وامرئ القيس يقول الملقى : " وأما التى

للترتيب اللفظى خاصة ، ففي قول الشاعر :

عفا نو حسى من فرننى فالقوارع
 فجنبنا أريك فالنتلاع الدوافع

١- ديوانه ١٢٤ .

٢- انظر الكتاب ١ / ٤٢٩ ، والمغتصب ١ / ١٠ .

٣- الجنى ٦٤ .

٤- ديوانه ٤٩ .

فمجتمع الأشرار غير رسمها مصايف مرت بعدنا ومرايع

وقول الآخر :

غشيت ديسار القوم بالبكرات فعارمة فبرقه العيررات
فغول فحلليت فنفاء فمنعج إلى عاقل فالجب ذى لأمرات

فمراد الشاعرين وقوع الفعل بتلك المواضع خاصة ويترتب اللفظ واحدا بعد آخر
بالفاء ترتيبا لفظيا (١) .

وهذا العطف الذكرى الذى يترتب اللفظ فيه واحدا بعد آخر ترتيبا لفظيا يجعلنا نتساءل
عن الأساس الذى قدم فيه واحدا عن الآخر ، وهل تحسن الواو فعلا ؟ وإن كانت تحسن فلم
عدل الشاعر عنها إلى الفاء ووزنهما واحد ؟

وهل يقنع الباحث ما ذكره ابن عصفور من أن المخبر قد لا تحضره أسماء هذه الأماكن
فى حين واحد ، فما سبق إلى ذكره أتى به أولا وما تأخر فى ذكره عطفه بالفاء . (٢)
كل هذه الأسئلة تشغل الباحث وفى محاولة للإجابة عليها نذكر قول الرضى عن الترتيب
الذكرى : " أن تفيد الفاء العاطفة للجمل كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ما قبلها فى
الذكر ، لا أن مضمونها عقيب مضمون ما قبلها فى الزمان " (٣)

وعبارة : " كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ما قبلها فى الذكر ، تعنى أن هناك
علاقة ما لم يوضحها الرضى !! وذكر الصبان كلاما جيدا فى توضيح هذه المسألة إذ يقول :
" ليس المراد من الترتيب الذكرى مجرد ترتيب الشئينين مثلا فى الذكر ، لأن هذا القدر لازم
للذكر مع إسقاط الفاء أيضا ، بل ترتيب مراتب المذكور فى الذكر ، أى بيان أن المذكور أو
لاحقه أن يتقدم فى الذكر لتقدم رتبته على رتبة المتأخر " (٤)

فالصبان لا يرضى أن يكون الترتيب فى الذكر بحيث تحسن الواو بل يقرر أن المذكور
أولا حقه أن يتقدم فى الذكر لتقدم رتبته ، فإذا فقدت العلاقة الزمنية بين المعطوف والمعطوف
عليه ، فهناك العلاقة الرئيسة ، فرتبة المعطوف عليه بالفاء مقدمة على رتبة المعطوف بها ،
ومما يذكر فى هذا المجال قوله تعالى :

١- رصف المبانى ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

٢- المقرب ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

٣ شرح الكافية ٢ / ٣٦٥ .

٤- حاشية الصبان ٣ / ١٣٦ .

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبْؤًا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾
(الزمر ، ٧٤)

وقوله تعالى : ﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُكْثِرِينَ ﴾ (الزمر ، ٧٢)
فمجيء أسلوب المدح والذم بعد ذكر الممدوح والمذموم يدل على تقدم مرتبة كل من الممدوح والمذموم ، فذكر الممدوح مرتبة سابقة لمدحه وكذا ذكر المذموم مرتبة سابقة لذمه .
ولعل هذا هو ما فهم من كلام سيبويه : " كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم " (١) .
إذا فالأولى أن يسمى الترتيب الرتبي ، فالترتيب يكون بحسب قيمة المقدم في النفس ، والأغراض التي تجعل الأديب يقدم شيئا على شيء كثيرة ، تقربه من نفسه ، واهتمامه به ، ولأنه المراد الأول بالغرض المذكور من أجله .

الفاء والتعقيب :

يرى أكثر النحاة أن العطف بالفاء يقتضى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه بلا مهلة، يقول سيبويه : " ومنه مررت برجل راكب فذاهب " ، استحقهما إلا أنه بين أن الذهاب بعد الركوب وأنه لا مهلة بينهما وجعله متصلا به " (٢)
ويقول أيضا : " والفاء هي لضم الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو غير أنها تجعل ذلك متسقا بعضه في إثر بعض " (٣)

وسار على ذلك جمهور النحاة يقول ابن السراج " فهي تجيء لتقدم الأول واتصال الثانى فيه " (٤)

ويشرح ابن جنى المراد باتصال الثانى فى الأول فيقول : " نحو قولك : قام زيد فعمرو ، وضربت زيدا فأوجعته ، أردت أن تخبر أن قيام عمرو وقع عقيب قيام زيد بلا مهلة ، وأن إيجاع زيد كان عقيب ضربك إياه " ، ولعل أول من أطلق كلمة عقيب هو ابن جنى ، وسار جمهور النحاة على ذلك يقول المرادى :

١- الكتاب ١ / ٣٤

٢- الكتاب ١ / ٤٢٩ .

٣- الكتاب ٤ / ٢١٧ .

٤- سر صناعة الإعراب ١ / ٢٢٤ .

"ومعناها التعقيب ، فإذا قلت : قام زيد فعمرو دلت على أن قيام عمرو بعد زيد بلا مهلة ، فتشارك " ثم " فى إفاة الترتيب وتفرقها فى أنها تفيد الاتصال ، و ثم تفيد الانفصال ، هذا مذهب البصريين ، وما أوهم خلاف ذلك تأولوه " (١)

وفى سبيل إثبات هذه القاعدة لجأ النحاة - كما قال المرادى - إلى تأويل النصوص التى جاء فيها الفاصل الزمنى بين المعطوف والمعطوف عليه كبيرا .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً ﴾ (الحج: ٦٣) ، فاخضرار الأرض لا يعقب إنزال الماء .

فذهب ابن مالك إلى أن الفاء قد تفيد المهلة . (٢)

وأولها الجمهور تأويلات عدة منها :

أن " فتصبح " معطوف على محذوف تقديره : أثبتنا به ، فطال النبت ، فتصبح. (٣)

ومنها ما ذهب إليه الرضى فى تأويل الآية السابقة : " ثم اعلم أن إفاة الفاء الترتيب بلا مهلة لا ينافى كسوف الثانى المترتب يحصل بتمامه فى زمان طويل ، إذا كان أول أجزائه متعقبا لما تقدم .. فإن اخضرار الأرض يبتدىء بعد نزول المطر لكن يتم فى مدة ومهلة فجىء بالفاء نظرا إلى أنه لا فصل بين نزول المطر وابتداء الاخضرار ، ولو قال ثم تصبح ، نظرا إلى تمام الاخضرار ، جاز " (٤)

وذهب ابن هشام إلى أن التعقيب فى كل شىء بحسبه ألا ترى أنه يقال : تزوج فلان فولد له إذا لم يكن بينهما إلا مدة الحمل ، وإن كانت متطاولة ، ودخلت البصرة فيغداد إذا لم تقعد فى البصرة ، ولا بين البلدين " (٥)

وذهب آخرون إلى أن الفاء للسببية المجردة عن العطف ، وهى لا تفيد تعقيبا. (٦)

١- الجنى ٦١ .

٢- المساعد ٣ / ٤٤٨ .

٣- الجنى ٦٢ .

٤- شرح الكافية ٢ / ٣٦٧ .

٥- المعنى ١ / ١٨٤ .

٦- حاشية السوقى ١٧٣ .

وذهب غيرهم إلى أن الفاء تأتي بمعنى " ثم " ومرد هذا الاضطراب في نظر الدراسة يرجع إلى إعطاء الفاء دلالة زمنية حتمية قاطعة ، فهي عند النحاة تدل على التعقيب ، أي سرعة وقوع المعطوف بعد وقوع المعطوف عليه ، دون نظر إلى السياق .

والحق أن للفاء معنى وظيفيا يتأثر فيه بالسياق .

فالغالب في دلالة الفاء الزمنية أن تدل على التعقيب ، لكن السياق قد يكسبها دلالات

زمنية أخرى .

فعناصر السياق مجتمعة هي التي تتضافر لتؤدي المعنى المراد ، والفاء من عناصر السياق تكتسب منه دلالتها وإن كان يغلب عليها أن تدل على السرعة والتتابع بين المعطوف عليه والمعطوف بها . والدلالة الكلية للتركيب تكتسب من تضافر عناصره معا في أداء هذه الدلالة . فلما لم ينظروا إلى تضافر عناصر السياق في أداء الدلالة الزمنية المطلوبة ، وقصروها على الفاء ، اضطربوا أمام النصوص التي جاء الفاصل الزمني فيها بين المعطوف والمعطوف عليه طويلا .^(١)

الفاء في جواب الشرط :

فصل النحاة بين ما يصح أن يكون جوابا للشرط وما لا يصح على أساس العمل ، فإن صح أن تعمل أداة الشرط في فعل الشرط والجزاء لا يؤتى بالفاء مثل إن تذاكر تتجح ، فإن لم يصح أن تعمل أداة الشرط في الجزاء أتى بالفاء لتفيد الربط بين الشرط والجواب . يقول ابن جني : " فإن قيل : وما كانت الحاجة إلى الفاء في جواب الشرط ، فالجواب : أنه إنما دخلت الفاء في جواب الشرط توصلا إلى المجازاة بالجملة المركبة من المبتدأ والخبر ، أو الكلام الذي يجوز أن يبتدأ به ، فالجملة في نحو قولك : إن تحسن إلى فاشه يكافئك ، لولا الفاء لم يرتبط أول الكلام بآخره .. وذلك أن الشرط والجزاء لا يصحان إلا بالأفعال ، لأنه إنما يعتد وقوع فعل بوقوع فعل غيره ، وهذا معنى لا يوجد في الأسماء ولا في الحروف ، بل هو من الحروف أبعد ، فلما لم يرتبط أول الكلام بآخره ، لأن أوله فعل وآخره اسمان ، والأسماء لا يعادل بها الأفعال ، أدخلوا هناك حرفا يدل على أن ما بعده مسبب عما قبله ، لا معنى للعطف فيه ، فلم يجدوا هذا المعنى إلا في الفاء وحدها ، فلذلك اختصوها من بين حروف العطف " ^(١)

١- انظر الجانب التطبيقي في البحث .

٢- سر صناعة الإعراب ، ١ / ٢٢٥ .

أى إن الفاء جىء بها فى جواب الشرط لتقيد الربط عندما يفقد عمل الأداة فى الجواب فيحتاج إلى رابط يربط الشرط بالجواب !! وكأن أداة الشرط لا تكفى لإفادة الربط بين الشرط والجواب ؟!

والأولى أن يقال إن الفاء جىء بها لتقيد معنى الترتب وقوة الربط والتسبيب بين الشرط والجواب ، وهى عاطفة لا بمعنى إشراك ما بعدها مع ما قبلها فى العمل ، ولكن بمعنى إشراكهما فى الوقوع وحصول مضمون الجملتين وترتب الجواب على الشرط وإفادة قوة التسبيب فعند فقد الأداة دورها فى الربط يؤتى بالفاء العاطفة لتجمع بين الجملتين فى الحصول والترتيب ، والتسبيب غالبا بين الأولى والثانية . فعند قولنا : إن تحسن إلى الله يكافئك ، لو حذفنا الفاء ، فقدنا الربط بين الجملتين ، فلو قلنا : إن تحسن إلى الله يكافئك ، لا يظهر الربط بين الإحسان والمكافأة ، فهما معنيان غير مرتبطين ترابطا تلازميا على نحو ما يريد القائل ، فقد يكون الإحسان سببا للمكافأة ، والمكافأة نتيجة للإحسان ، وقد تكون المكافأة عن غير ذلك ، فجىء بالفاء لتؤكد التلازم والربط بين الجملة الأولى والجملة الثانية ربط سببية وترتيب .

إذا فالفاء يجاء بها لتقيد الربط بين جملتى الجواب والشرط والتسبيب والترتيب ، وهذا ما تؤيد به الفاء العاطفة ، إذا فالأولى أن يقال : إن الفاء الواقعة فى جواب الشرط هى الفاء العاطفة ، فقد ربطت بين جملتين مسببة إحداهما عن الأخرى كما فى قولنا : ضربته فبكى ، وذاكر فنجح ، ونجح فسعد ، فكل منهما مترتب على الأخرى وربطت الفاء بينهما ربط ترتيب وسببية ، بالإضافة إلى إفادتها الجمع بين حصول مضمون الجملتين كليهما .

والذى جعل النحاة يفصلونها عن العطف هو فكرة العامل لا غير وليست الدلالة ، يقول ابن جنى : " الثانى : وهو الذى تكون فيه الفاء للإتباع دون العطف إلا أن الثانى ليس من دخلا فى إعراب الأول ، ومشاركاه فى الموضوع وذلك فى كل مكان يكون فيه الأول علة للأخر ، ويكون فيه الآخر مسببا عن الأول ، فمن ذلك جواب الشرط فى نحو قولك : إن تحسن إلى الله مجازيك ، فهذه هنا للإتباع مجردة من معنى العطف ، ألا ترى أن الذى قبل الفاء من الفعل مجزوم ، وليس بعد الفاء شئ يجوز أن يدخله الجزم ، إنما بعدها جملة مركبة من اسمين مبتدأ وخبر ، وكذلك قولك : إن تقم فأنا قائم معك ، وإنما اختاروا الفاء هنا من قبل أن الجزاء سبيله أن يقع ثانى الشرط ، وليس فى جميع حروف العطف حرف يوجد هذا المعنى فيه سوى الفاء " (١)

١- سر صناعة الإعراب ١ / ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

فالسبب الذى رفض ابن جنى كون الفاء فى جواب الشرط عاطفة على أساسه هو عدم صحة إشراك ما بعدها لما قبلها (الجزء والشرط) فى العمل " ، فجاء بالفاء لتفيد معنى الربط والسببية والإتباع . وكان الأولى أن يقال إن الأمر ليس أمر العمل والعامل ولكنه أمر (المعنى والدلالة) فعند فقد أداء الشرط لدورها فى الربط بين الشرط والجزاء يجاء بالفاء لتفيد الربط بينهما ، وتؤكد قوة التسبب بين الشرط والجزاء ، فهى الفاء العاطفة .

وعلى هذا يصح أن نقول : إن الفاء عاطفة سواء جاءت فى جواب الشرط أو فى غيره .

القسم الثانى : الجانب التطبيقي

عرض البحث فى الدراسة الخاصة بالإطار النظرى للفاء العاطفة عند النحاة رابطا فى ذلك بين الجانب النحوى والجانب الدلالى ، وبتطبيق ما توصل إليه البحث من دلالات تؤيدها الفاء العاطفة فى السياق متضافرة مع عناصره المختلفة على ديوان امرئ القيس - استطاع البحث بالتحليل للسياقات المختلفة التى وردت فيها الفاء العاطفة فى الديوان أن يصل إلى عدة دلالات تؤيدها فى هذه السياقات ، ويمكن تناول هذه الدلالات على النحو التالى :

أولا : الفاء والدلالة على الترتيب .

١- الترتيب الزمنى .

٢- الترتيب الدلالى .

٣- ترتيب الأماكن .

ثانيا : الفاء والدلالة على التعقيب .

ثالثا : الفاء فى جواب الشرط .

رابعا : الفاء والتصوير .

خامسا : الفاء ودلالات أخرى .

١- السببية .

٢- التدرج .

٣- المطاوعة .

٤- الاستنتاج .

أولاً : الفاء والدلالة على الترتيب

أ - الترتيب الزمني :

جاءت الفاء في ديوان امرئ القيس دالة على الترتيب الزمني بحيث يكون المعطوف عليه سابقاً في الزمن للمعطوف ، وذلك في أكثر استعمالاتها ، ولعل من ذلك قوله :
كأنى غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحى ناقف حنظل
ففاضت دموع العين منى صباية على النحر حتى بل دمعى محملى

فالدموع تفيض بغزارة عقب نقف الحنظل مباشرة ، فالحنظل حرارة تدمع فيها العين .
فالمعطوف بالفاء (ففاضت دموع العين) لاحق للمعطوف عليه (كأنى ناقف حنظل) في الزمن متصل به بلا مهلة .
ومثله قوله :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات إنك مرجلى

وقوله :

فجنت وقد نضت لنوم ثيابها لدى السستر إلا لبسة المتفضل
فقالت يمين الله ما لك حيلة وما إن أرى عنك العلية تنجلي

فقد أفرعها مجيئه والناس حولها فأطلقت فيه لسانها ، فالمعطوف (فقالت) لاحق متصل بالمعطوف عليه (فجنت) في الزمن ، فالترتيب الزمني محقق هنا .
ب - الترتيب الدلالي :

وهو ما يسميه النحاة بالترتيب الزكري ، وهو نوعان :

١- عطف مفصل على مجمل هو هو في المعنى ، فيأتى الإجمال أولاً ، فهو المعنى المراد : لنفس القائل ، ويأتى تفصيله بعد ذلك ليوضحه ويؤكد في نفس السامع ، ولعل من ذلك قول امرئ القيس :

أذلك أم جون يطارد آتنا حملن فلربى حملهن بروص^(١)

فقد عطف تفاصيل ما حملته الاثن على قوله حملن ، وما حملته الاثن (فأرى حملهن دروس) وهو المعطوف تفصيل للمعطوف عليه (حملن) .

ولعل من ذلك قوله :

أمن ذكر نبيهاتية حل أهلها بجزع الملا عينك تبتدران
فدمعهما سكب وسح وديمة ورش وتوكاف وتنهملان^(١)

فقد عطف الشاعر أنواع الدمع التي سكبها عيناه والتي شبهها بأنواع المطر (سكب وسح وديمة ورش وتوكاف وتنهملان) على قوله (عينك تبتدران) أى تستيقان بالدموع ، فالمعطوف تفصيل للمعطوف عليه .

ولعل من ذلك قوله :

لها وثبات كوثب الظباء . فواد خطاء وواد مطر^(٢)

٢ - عطف رتبى :

وهو ما يسميه النحاة " عطف لمجرد المشاركة فى الحكم بحيث يحسن الواو ، كقول امرئ القيس :

بسقط اللوى بين الدخول فحومل " ^(٣)

وقد يقدم الشاعر المعطوف عليه لدلالة يقصدها ، كقربه من نفسه ، أو لشدة تأثره بما حدث له ، أو لقربه من الجهة التى يقدم منها ، أو يريدها ، أو غير ذلك ، ولعل من ذلك قول امرئ القيس :

ثج حتى ضاق عن آذيه عرض خيم فجفاف فيسر
قد غدا يحملنى فى أنفه لاحق لإطلين محبوبك ممر

فهذه الأماكن كلها (خير وجفاف ويسر) قد ضاقت عن كثرة المطر ولعله قدم (خيم) وتلاه (بحفاف فيسر) ، لدلالات ممتزجة فى نفسه ، لعل أظهرها أن الأول هو الأقرب للجهة

١ - ديوانه : ٨٨

٢ - ديوانه ١٦٧ .

٣ - الجنى : ٦٤

التى يقدم إليها أو هو الأقرب إلى نفسه ، فرتبة المكان الأول مقدمة على رتبة المكان الثانى فى نفسه^(١).

ولعل من ذلك قوله :

عفا شطب فى أهله وغرور فموبولة إن الديار تدور
فجزع محياه كأن لم تقم به سلامة حولا كاملا وقذور^(٢)

وقوله :

فقا نيك من ذكرى حبيب ومنزل يسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل^(٣)

ومن ذلك قوله :

يا دار ماوية بالحائل فالسهب فالخبتين من عاقل^(٤)

٣ - ترتيب الأماكن :

ويشيع العطف بالفاء على الأماكن عند شاعرنا ، للدلالة على الترتيب بينها وقصر الفواصل المكانية بينها ، والجمع بينها فى لوحة فنية واحدة كما أحسها فى نفسه ، ولعل من ذلك قوله :

لمن الديار غشيتها بسحلم فصايتبين فهضب ذى أقدام
فصفا الأطيط فصاحتين فغاضر تمشى النعاج بها مع الأرام
دار لهند والرباب وفرتسى ولميس قبل حوادث الأيام

فالشاعر مر على ديار هند وصواحبها فوجدها متغيرة متبدلة فوقعت الحيرة عنده والاضطراب ، فالظاهر يؤكد تغيرها مما جعله يتساءل لمن الديار ؟ والحقيقة أنها ديار محبوبته وصحابها فهو شديد المعرفة لها ، فوصفها برسم صورة لها تحدد أبعادها التى كان

١ - ديوانه : ١٤٦

٢ - ديوانه : ٣٨

٣ - ديوانه : ٨

٤ - ديوانه : ١١٩

يتردد فيها مع محبوبته، وهذه الأماكن هي: سحام ، عمايتين ، هضب ، صفا الأطيظ ،
صاحتان ، غاضر .

وهي أماكن كثيرة ومتباعدة ولو عطف بالواو لأفادت أنه غشى هذه الأماكن ، فقط لأن
العطف بالواو يفيد مطلق الجمع ، ولكنه أثر الفاء واختارها لتربط بين هذه الأماكن ربطاً قوياً
فى الظاهر كما هي فى نفسه ، فهى فى نفسه مسرح لأحداث قصة حب عاشها ، فهى لوحة
فنية متكاملة فى شعوره ووجدانه ، والفاء التى تفيد سرعة ملاحقة المعطوف للمعطوف عليه
تقصر المسافات بين هذه المواضع وتجعلها وكأنها موضع واحد عاش فيه الشاعر فترة زمنية
مؤثرة فى نفسه ، ويعشاه الآن مستجمعا كل ما مضى متأثراً بما ألم بها من حوادث الأيام.

ولا يستطيع حرف غير الفاء أن يدل على ما أراده الشاعر من الربط بين هذه المواضع
كلها فى مشهد واحد ولوحة فنية واحدة ، مزيلة الفوارق بين الأماكن ، وقدم الشاعر أحب
المواضع التى فيها ديار محبوبته ورافقها وتلاها بما يليها مما وقع فى اهتمامه ، ولعل هذا هو
الذى عناه سيويوه بقوله : " كأنهم إنما يقدمون الذى بيانه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى ، وإن
كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم " (١)

هذا بالإضافة إلى أن العطف بالفاء يفيد قوة الترابط والمبالغة فى الربط بين الشينين
لأنها تربط بين السبب ومسببه وهما كالشئ الواحد وبين الشرط وجزائه وبين المبتدأ وخبره ،
وهذا ليس لغيرها .

ومن ذلك قوله :

عشيت ديار الحى بالبكرات فعارمة فبرقة العيررات
فغول فحليت فنفء فنممعج إلى عاقل فالجب ذى الأمرات (٢)

وقوله :

فعدت له وصبحتى بين ضارج وبين تلاع يثثلت فالعريض
أصاب قطاتين فسال لواهما فوادى البدى فانتحى للأريض (٣)

١ - الكتاب ١ / ٣٤

٢ - ديوانه : ٧٨

٣ - ديوانه : ٧٣

وقوله :

على قطن بالشيم أيمن صوبه وأيسره على الستار فينبيل^(١)

ولعل من ذلك أيضا قوله :

سما لك شوق بعدما كان أقصرا وحلت سليمي بطن قو فعرعا^(٢)

وقوله :

فلا تنكروني إني أنا ذاكم ليالى حل الحى غولا فالحسا^(٣)

ثانيا : الغاء والدلالة على التعقيب

ويعنى النحاة بالتعقيب سرعة ملاحقة المعطوف للمعطوف عليه واتصاله به كما سبق .
ويلاحظ البحث أن الغاء تأتى فى سياقات تتضح فيها العلاقة الزمنية بين المعطوف
والمعطوف عليه على النحو التالى :

١ - اتصال المعطوف بالمعطوف عليه مباشرة أى بغير فاصل زمنى ينكر ، وهذا هو
الأكثر .

فلما بدت حوران فى الآل دونها نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا^(٤)

فالشاعر يتحدث عن مدينة حوران الشامية التى كانت موطن محبوبته ، وقد وصلها
منتصف النهار فنظر إليها فلم يجد شيئا يسره ، فالمعطوف (فلم تنظر) أى : أنه لم ير شيئا
جميلا ، والمعطوف عليه (نظرت) ولا شك أنه لا توجد مساحة زمنية تذكر بين النظر وعدم
رؤية ما يريده . ولعل من ذلك أيضا .

كلن غلامى إذا علا حال منته على ظهر باز فى السماء محلق
رأى أرنبا فانقض يهوى أمامه إليها وجلاها بطرف ملقلى^(٥)

١ - ديوانه : ٢٦

٢ - ديوان : ٥٦

٣ - ديوانه : ١٠٥

٤ - ديوانه : ٦١

٥ - ديوانه : ١٧٣

ومن ذلك قوله :

وقلنا لفتيان كرام ألا انزلوا فعالوا علينا فضل ثوب مطنب^(٦)

فقد أمروا الفتيان بالنزول ، ونزل الفتيان ، ورفعوا ثيابا فوق الجميع ؛ ليظللهم
ويستروهم من حر الشمس . ولاشك أن تنفيذ الساتر قد تم بعد الأمر بالنزول بفاصل زمنى
يسير ، فحر الشمس شديد واللهفة لأن يرفعوا فضل الثوب ويستروهم به من حر الشمس
شديدة .

ومثل ذلك قوله :

غشيت ديار الحى بالبكرات فعارمة فبرقة العيرات
فغول فحليت فنفاء فمنعج إلى عاقل فالجب ذى الأمرات^(١)

فبين كل مكان وآخر من هذه الأماكن ، مسافة مكانية كبيرة وغشيان واحد منها بعد الآخر يحتاج إلى فسحة زمنية طويلة جدا .

٦ - التوافق الزمنى بين المعطوف والمعطوف عليه .

ولعل من ذلك قوله :

فإن تنأ عنها حقبة لا تلاقها فإنك مما أحدثت بالمجرب^(٢)

فزمن المعطوف (فإنك مما أحدثت بالمجرب) والمعطوف عليه (تنأ عنها حقبة) واحد ، فإنه يريد أن يقول : إن ابتعدت عنها حقبة فيما تستقبل ، فسيبدو لك وصلها أو هجرها فتكون على تجربة منها .

فكلا الأمرين واحد معرفته بها وتجربته لها ، والبعد عنها ، فإن البعد عنها تجربة له .
ولعل من ذلك قوله :

هم أبلغوا الحى المضلل أهلهم وساروا به بين العراق ونجران
فقد أصبحوا والله أصفاهم به أبر بميثاق وأوفى بجيران^(٣)

فإبلاغ رهط عوير بن شجنة حى امرئ القيس أهلهم وإجارتهم لهم من الطلب ، يعد وفاء بذمة من جاوره واعتصم به . ووصف القوم بالوفاء بالذمة مساو لعملهم الذى عملوه بإبلاغهم الحى أهلهم . كقولنا أعطيت فأحسنيت فالإعطاء إحسان ، ويقع كلاهما مع الآخر لا بعده ولا قبله .

ومثل ذلك قوله :

أمن ذكر نيهاتية حل أهلها بجزع الملا عينك تبتران
فدمعهما سكب وسح وديمة ورش وتوكاف وتنهملان^(٤)

١ - ديوانه : ٧٨

٢ - ديوانه : ٤٢

٣ - ديوانه : ٨٤

٤ - ديوانه :

ثالثا : الغاء فى جواب الشرط

وعند رصد الدراسة ارتباط الغاء بالدلالة على الترتيب فى جواب الشرط تبين لها أن جواب الشرط (المعطوف بالفاء) يأتى فى سياقات زمنية مختلفة .

١ - ما بعد الغاء سابق فى الزمن لما قبلها : ويكثر ذلك عن امرئ القيس إذا كان جواب الشرط فخرا بماضى

ومن ذلك قول امرئ القيس :

فإما ترينى اليوم فى رأس شاهق فقد أغتدى أقود أجرد تائقا (١)

فجواب الشرط (فقد أغتدى أقود أجرد تائقا) يتضمن فخر الشاعر بقيادته لفرسه مبكرا لصيد أو لهجوم ، ولاشك أن الشاعر يفخر بما حدث لا بما يتمنى أن يحدث ، فجواب الشرط ماض فى الزمن ، أى : سابق للشرط (ترينى اليوم فى رأس شاهق) ، فالشرط هنا حال يعايشها الشاعر فهو مكروب معزول فى رأس جبل الآن . ولعل الشاعر ينفس عن ضيقه الذى يعانیه فى الحال بماضيه العظيم كما ذكر .

ويذهب النحاة إلى أن جواب الشرط تال دائما للشرط ، ويلجئون فى تخريج مثل هذا البيت إلى القول بأن جواب الشرط محذوف ، وأن المنكور معطوف على المحذوف فيكون تقديرهم لهذا البيت : فلا تحزننى فقد أغتدى حتى يكون الجواب مستقبلا ولعل من ذلك قوله :

إن أمسى مكروبا فيارب غارة شهدت على لقب رخو اللبن (٢)

فالجواب (فيارب غارة) وفيه يفخر الشاعر بغاراته الكثيرة التى شهدا على فرس ضامر واسع جلد الصدر ، والفخر إنما يكون بما حدث ، والجواب حال يعايشها الشاعر ، وهى حال كرب الشاعر بتخلى رفاقه عنه . فالجواب (فيارب غارة) سابق فى الزمن على الشرط (أمسى مكروبا) ويؤوله النحاة كما سبق على حذف الجواب .

ومثل ذلك قوله :

فإن أمسى مكروبا فيارب بهمة كشفت إذا ما اسود وجه الجبان
وإن أمسى مكروبا فيارب قينة منعمة أعملتها بكران (٣)

١ - ديوانه : ١٩٥

٢ - ديوانه : ٨٦

٣ - ديوانه : ٨٦

ومثل قوله :

فإما ترينى فى رحالة جابر على حرج كالقر تخفق أكفانى
فيارب مكروب كررت وراءه وعان فككت الغل عنه ففداني^(١)

فالجواب (فيارب مكروب) فخر الشاعر فيه لاستنقاذه المكروب الذى أحاط العدو به
كما فخر باستنقاذ الأسير أو منه عليه ، وكل ذلك حدث ، فزمنه ماض . أما الشرط فهو
تصوير لحالته الشديدة (ترينى فى رحالة جابر) أى محمولا على خشبات لمرضه ، فالزمن
هنا حال . وهكذا يسبق الجواب الشرط فى الزمن .
ومثل ذلك شائع فى شعر امرئ القيس ، ولعل منه :

فإما ترينى لا أغمض ساعة من الليل إلا أن أكب فأنصا
تاوينى دائى القديم فغلسا أحاذر أن يرتد دائى فأنكسا
فيارب مكروبى كررت وراءه وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا^(٢)

٢ - ما بعد القاء مساو فى الزمن لما قبلها : ويكثر ذلك إذا كان أسلوب الشرط متضمنا
حكمة مستفادة من خبرة الشاعر .

ولعل منه :

إذا المروء لم يخزن عليه لسانه فليس على شىء، وسواه بخزان^(٣)

فهو يريد أن يخبر بأن المراء الذى لا يحفظ لسانه بسرّه لا يقدر على حفظ سر غيره .
وكلا المعنيين متفق فى الزمن مع الآخر ، فعدم حفظه لسره مساو فى الزمن لعدم حفظه
لسر غيره .

ولعل من ذلك أيضا :

فإن تنأ عنها حقبة لا تلاقها فإنك مما أحدثت بالمجرب

فالشرط (تنأ عنها حقبة) مساو فى الزمن للجواب (فإنك مما أحدثت بالمجرب)
فاتصاف المخاطب بالتجربة لبعده عن المحبوبة مساو فى الزمن لبعده عنها وعدم لقائه بها .

١ - ديوانه : ٩٠

٢ - ديوانه : ١٠٥ ، ١٠٦ .

٣ - ديوانه : ٩٠

٣ - الجواب لاحق للشرط ، وهذا هو الأكثر الأعم . وذلك إذا كان الشرط سببا للجواب :
وإن كنت قد ساءت منك خليقة فسلى ثيابي من ثيابك تنسل^(١)

ومثله :

فلما دنوت تسديتها فثوبا نسيت وثوبا أجز^(٢)

رابعاً : الفاء والتصوير :

يهتم الشاعر بالتصوير وسيلة لإبراز مشاعره ، والشاعر يستخدم مفردات اللغة أداة لرسم الصورة التي يريدها ، فالصورة " لا تلتزم ضرورة أن تكون الألفاظ أو العبارات مجازية ، فقد تكون العبارات حقيقية الاستعمال ، وتكون مع ذلك دقيقة التصوير دالة على خيال خصب " ^(٣) والشاعر " يستطيع أن يخلق صورة من أى شيء ، شرط أن تكون استجابته الخيالية لهذا الشيء قوية بما فيه الكفاية " ^(٤)

والأديب عندما يحس ويشعر بالموقف فإنه يختار من أدوات الربط ما يرى أنه قادر على نقل أحاسيسه ومشاعره . ولذلك ينبغي عند التعامل مع النص الرقي إلى أحاسيس الأديب ومحاولة فهم دوافعه إلى هذا الإبداع ، ومشاعره أثناء الإبداع . والتصوير عند الأديب هو أعظم ما ينقل به مشاعره وأحاسيسه إلينا . ولامرئ القيس قدرة عجيبة على استخدام الفاء وسيلة للتعبير عن نمو الأحداث في الصور التي ينقلها إلينا ويرسمها معبرا عن خلجات نفسه . ويدرك امرؤ القيس ما للفاء من وظائف تقوم بها في السياق ، من دلالتها على قوة الربط بين المعطوف والمعطوف عليه والمشاركة بين معطوفيهما في حصول مضمونيهما إذا كانا جملتين ، وبالذات على أن هذا الحصول يتسق بعضه في إثر بعض ، وأنه لا مهلة بين المعطوف والمعطوف عليه غالبا . " والفاء تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو غير أنها تجعل ذلك متسقا بعضه في إثر بعض " ^(٥)

١ - ديوانه : ١٣

٢ - ديوانه : ١٥٩

٣ - النقد الأدبي الحديث ، ٤٣٢ د. محمد غنيمي هلال ، نهضة مصر ، د.ت .

٤ - الصورة الشعرية ١٠٣ ، سيميل دي لويس ، ترجمة : أحمد نصيف الجنابي وآخرين ، دار الرشيد

للنشر ، بغداد ١٩٨٢ .

٥ - الكتاب ٤٣/٣ .

ولذلك استخدم امرؤ القيس الفاء أداة للربط بين عناصر الصور التي يرسمها لتدل على تتابع الأحداث والمشاهد وللإشعار بالمفاجآت في الأحداث وللدلالة على قصر الفاصل الزمني بين معطوفاتها مما يساعد على جمع عناصر الصورة في لوحة فنية متكاملة مترابطة .

ومن ذلك تلك الصورة الفذة التي يرسمها لفرسه والصيد .

يقول امرؤ القيس^(١) :

وبات عليه سرجه ولجامه	وبات بعينى قائما غير مرسل
فعن لنا سرب كأن نعاجه	عذارى دوار فى الملاء المزيل
فأدبرن كالجزع المفصل بينه	بجيد معم فى العشرة مخول
فألحقنا بالهاديات ودونه	جواهرها فى صرة لم تزيل
فعادى عداء بين ثور ونعجة	دراكا ولم ينضح بماء فيفضل
وظل طهاة اللحم من بين منضج	صفيف شواء أو قدير معجل

ففى هذه اللوحة الفنية المتكاملة استخدم الشاعر الفاء أداة لقوة الربط بين مشاهد الصورة وأحداثها ، وللدلالة على سرعة التنقل من حدث إلى حدث ، وللإشعار بالمفاجآت فى الأحداث ، فالشاعر قد أعد فرسه للصيد مرتقبا للصباح وعندما ظهر النور عرض قطيع بقر وحشى فى جمال نادر ، اختلط بياضه بسواده فظهر بريقه ، وعندما لاح الشاعر وفرسه أدبر القطيع بجره ، وكأن الفرس كان منتظرا لهذا القطيع فهجم عليه ، فأدرك أوائل القطيع مخلقا أواخره وراءه ، فاختار ثورا ونعجة يجرى حولهما ويحيط بهما حتى قيدهما وصادهما واستمر الطهاة فى إعداد الطعام شواء وطبخا .

والشاعر يجمع بين هذه الأحداث جميعها بالفاء ليؤكد قوة العلاقة والترابط بين أجزاء الصورة ومشاهدها ، ويجمعها فى نسيج واحد ، ولا تستطيع أداة أخرى أن تدل على قوة الربط بين هذه المشاهد والأحداث وتتابعها مثل الفاء . فالشاعر يريد أن يقول لنا إن كل هذه المشاهد قد اجتمعت فى الواقع فى لمحات قليلة كأنها لمحة واحدة ، فاستخدم الفاء للدلالة على سرعة متابعة المعطوف للمعطوف عليه .

ولننظر إلى هذه المشاهد :

المشهد الأول :

فالشاعر يبيت لا يخفف عن فرسه سرجه ولجامه ، استعدادا للصباح ، مما يؤكد سرعة التلهف لمتابعة الصيد ، ثم تأتي المفاجأة وهما في حالهما هذا يظهر سرب فجأة ، وكأنهما كانا يكمنان له (فعن لنا سرب) فالفاء هنا تدل على لهفتهم ، وهما ينتظران السرب وتدل على إرواء غليلهما ، والسرب يفاجئهما ، ولا تدل غير الفاء على ذلك ، والشاعر يدرك سر أدواته التى يستخدمها .

المشهد الثانى :

عندما رأى السرب الفارس وفرسه أدير مسرعا ينجو بحياته ، كأنه يعرف ما يدبر له (فأديرن). والفاء هنا تدل على سرعة التحول التى رؤى السرب عليها ، فبعد أن كان السرب ذاهبا ليروى ظمأه ، إذا به أدير متحولا لينجو بحياته من الخطر الداهم الذى سيحل به ويحيطه، والفاء وحدها هى التى تدل على هذا التحول من حال إلى حال بهذه السرعة الرهيبة التى أدير بها .

المشهد الثالث :

الفارس يدرك السرب ويلحق به ويخترق صفوفه ويصبح أمامه مدركا القوي منه ، والمستقدم ، تاركا المتخلفات وراءه ، أى إن السرب كله أصبح فى دائرة سيطرة الفرس ، فلم يقلت منه شيء ، لا المتقدم ولا المتأخر ، وللفرس وصاحبه اختيار ما يريدان منه ، (فالحقنا بالهاديات) ، ولننظر إلى هذه السرعة المذهلة التى فاجأ الفرس بها سربه ، فقد أدرك المتقدمات فضلا عن المتأخرات ، وليس هناك ما يدل على سرعة اللحاق بالمتقدمات من استخدام الشاعر للفاء الدالة على الترتيب والتعقيب (فالحقنا) فالشاعر يدرك سر استخدامه لأداة العطف (الفاء) دون غيرها .

المشهد الرابع :

اختار الفرس ثورا ونعجة من بين القطيع فقيدهما بسرعة دورانه حولهما ، وأسقطهما فريسة له ولصاحبه (فعادى عداء بين ثور ونعجة) وإلى الفرس الجرى حول الثور والنعجة، وقيدهما بسرعه ، فلم يستطيعا الإفلات منه ، والفاء وحدها هى التى تدل على سرعة التحول من الأمام للخلف ومن الخلف للأمام ، وسرعة السيطرة والتمكن من الهدف .

وهكذا كانت المشاهد متعددة وجمع الشاعر بينها بالفاء الدالة على الترتيب والتعقيب ،
فالترتيب بين الأحداث والمشاهد وظيفة لها ، وقد تشاركها فيه (ثم) غير أن الفاء ترتب
الأحداث والمشاهد بدلالة معينة وهى التتابع والسرعة فى تلاحق الأحداث بعضها ببعض ، مما
يساعد على الربط بين أجزاء الصورة ومشاهدها ، وهذا سر أوتيه شاعرنا :

ومن ذلك أيضا قوله : (ديوانه ٣١ ، ٣٢)

سموت إليها بعدما نام أهلها	سمو حباب الماء حالا على حال
فقلت سباك الله إنك فاضحى	ألست ترى السمار والناس أحوالى
فقلت يمين الله أبرح قاعدا	ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى
حلفت لها بالله حلفة فاجر	لناموا فما إن من حديث ولا صالى
فلما تنازعنا الحديث وأسحت	هصرت بغصن ذى شمرايخ ميل
وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا	ورضت فذلت صعبة أى إذلال
فأصبحت معشوقا وأصبح بعلها	عليه القتام سيئ الظن والبال

فالشاعر يرسم صورة لزيارته لمحبيته سرا ، فقد ذهب إليها شيئا فشيئا حتى لا يشعر
به أحد ، وعندما فاجأها بزيارته ضجرت منه خشية الفضيحة ، رغم ترحيبها بهذه الزيارة ،
وأصر هو على أنه لن يرحل ، وأقسم لها كاذبا أن الناس قد ناموا فهدأت ، وجاذبته أطراف
الحديث ، ولينها بالكلام والمداراة ، فخضعت له بعد جهد ، وأصبح محببا إليها مرادا لها .
وقد استخدم الشاعر الفاء للربط بين هذه المشاهد ، فأمكنه جذب المشاهد إلى بعضها وشدها
فى عقد واحد وجعلها صورة رائعة .

المشهد الأول :

الشاعر قد فاجأ محبوبته بزيارته المبكرة التى تريدها لكنها ترفضها لتبكيه فى الوقت
(ألست ترى السمار والناس أحوالى) وجاء رفضها لهذه الزيارة بمفاجأة أيضا (فقلت سباك
الله إنك فاضحى) ، وعطف بالفاء للدلالة على الترتيب والترابط بين الموقفين (الزيارة
والرفض لها) وإحساسها الشديد بالرعب والخوف من افتضاح أمرها ، وليس أدل على
التعبير عن هذه المشاعر من العطف بالفاء (فقلت سباك الله إنك فاضحى) .

المشهد الثانى :

إصرار الشاعر على إتمام هذه الزيارة (فقلت يمين الله أبرح قاعدا) وبهفة شديدة
وحرص على إتمام هذه الزيارة ينمو الحوار ويتزايد ، وتترابط أطرافه ، فالشاعر يريد
للزيارة أن تتم بأى صورة فأقسم على عدم إنهاؤها . وقسمه المعبر عن ذلك ، ولهفته للتعبير

عن هذا الرفض عبرت عنه الفاء الدالة على سرعة ظهور هذا الموقف وارتباطه بسابقه الذى يطلب منه الرفض . واستخدام الفاء هنا دل على نقل هذه المشاعر على وجه السرعة المرادة، ودل على ما تمتلئ به نفسه من رغبة لإتمام هذه الزيارة .

المشهد الثالث :

تجاذبهما أطراف الحديث . فقد أصر الشاعر على موقفه ، وأقسم كاذبا أن الناس قد ناموا ، وبعد ذلك تنازعا أطراف الحديث ، وهذأت نفسها وأسمحت له فى الكلام ، وهو يستخدم الفاء التى تدل على سرعة الاستجابة المرادة لدى الشاعر .

المشهد الرابع : التدرج فى تبادل مشاهد الحب

يريد الشاعر أن ينتقل من الحديث إلى غيره ووجد صعوبة فى ذلك ، فحاول الإنتها وترويضها واستجابت له بعد صعوبة .

ولعل استخدام الشاعر للفاء هنا (ورضت فذلت) الدالة على الاستجابة لما يريد - جاء للتعبير عن حالته النفسية الراحبة فى استجابتها له بسرعة ، والدلالة على السرعة فى خضوعها له بالقياس إلى غيره .

المشهد الخامس :

ونتج عن ذلك كله أنه أصبح محبوبا لديها مقربا منها معشوقا لها (فأصبحت معشوقا)

والعطف بالفاء يدل على مدى السرعة الشديدة التى تحول بها الشاعر إلى معشوق ، فهذا أمر يحتاج إلى وقت طويل وجهد جهيد لكنه عند شاعرنا تحقق بسرعة فائقة ، ولذلك عبر عنه بالفاء التى تدل على السرعة وتتابع والمواقف والأحداث المرادة عند الشاعر .

وهكذا نجد أن الشاعر حرص على استخدام الفاء للدلالة على الجمع بين مشاهد الصورة كأنها مشهد واحد لما يتميز من دلالة على قوة الربط بين معطوفاتها ، والدلالة على السرعة والتلاحق بين هذه المعطوفات .

دلالات أخرى تؤيدها الفاء فى السياق :

تؤدى الفاء فى السياق دلالات أخرى مع الترتيب والتعقيب . ومن أهم هذه المعانى :

السببية :

ويراد بها عند النحاة أن يكون المعطوف عليه سببا للمعطوف ، وأن يكون المعطوف مسببا عن المعطوف عليه ، يقول ابن جنى : " ولما ذكرناه من حال هذه الفاء فى أن ما بعدها يقع عقب ما قبلها ما جاز أن يقع ما قبلها علة وسببا لما بعدها ، وذلك أن العلة سبب كون

مباشرة أو بعد فاصل زمنى يسير أو بعد فاصل زمنى ليس باليسير ، أو بعد فاصل زمنى طويل أو بعد فاصل زمنى طويل جدا . وتأتى فى سياقات يكون فيها توافق زمنى بين المعطوف والمعطوف عليه .

٥- كشفت الدراسة عن سر اختيار امرئ القيس للفاء فى تصويره للصيد والفرس والمرأة، فالفاء هى التى تدل على تتابع الأحداث والمشاهد وتشعر بالمفاجآت فى الأحداث وتدل على قصر الفاصل الزمنى بين معطوفاتها كل ذلك بفضل دلالتها الغالبة فى السياقات المختلفة على الترتيب ، والتعقيب ، مما يساعد على جمع عناصر الصورة فى لوحة فنية مترابطة ، وهذا لا يكون لغير الفاء .

- ما بعد الفاء مساو لما قبلها ويكثر ذلك إذا كان الشرط متضمنا تجربة من تجارب الشاعر .

- ما بعد الفاء لاحق لما قبلها وهو الأعم الأغلب ، وذلك إذا كان الشرط سببا للجواب .

٧ - كشفت الدراسة عن مجالات دلالية أخرى تؤديها الفاء فى السياق .

السببية بصورتها :

ما قبل الفاء علة لما بعدها .

ما بعد الفاء علة لما قبلها .

- والتدرج والمطاوعة والاستجابة .

وبانء التوفيق ،،،

مصادر البحث ومراجعته

- ١- الأزهية فى علم الحروف ، أبو الحسن على بن محمد الهروى (ت : ٤١٥ هـ) ، تحقيق : عبد المعين الحلوجى ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، مطبعة الترقى ، ١٩٧١م .
- ٢- أساليب العطف فى القرآن الكريم ، مصطفى حميدة ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط١ ، ١٩٩٩م .
- ٣- الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) ، شرحه وكتب هوامشه الأستاذ : عبد على مهنا ، والأستاذ / سمير جابر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م .
- ٤- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ومعه كتاب : عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصارى (ت : ٧٦١ هـ) ، تحقيق : محمد محبى الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ط٣ ، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩م .
- ٥- الجنى الدانى فى حروف المعانى ، الحسين بن قاسم بن عبد الله المرادى (ت : ٧٤٩ هـ) ، تح : فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م .
- ٦- حاشية الدسوقي : الشيخ مصطفى محمد عرفة الدسوقي ، طبعة عبد الحميد أحمد حنفى ، المشهد الحسينى ، د.ت .
- ٧- حاشية الصبان شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، محمد بن على (ت ١٢٠٦ هـ) ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، د.ت .
- ٨- دراسات فى الشعر الجاهلى ، يوسف خليف ، دار غريب للطباعة والنشر ، للقاهرة ، ١٩٨٠م .
- ٩- ديوان امرئ القيس ، امرؤ القيس بن حجر الكندى ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٩٦٩م .
- ١٠- رصف المباني فى شرح حروف المعانى ، أحمد بن عبد النور المالقى (ت : ٧٠٢ هـ) ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، د.ت .
- ١١- سر صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان بن جنى (ت : ٣٩٢ هـ) ، حققه وعلق عليه : أحمد فريد أحمد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، د.ت .
- ١٢- شرح التسهيل ، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك (ت : ٦٤٥ هـ) ، تحقيق : د / محمد بدوى المختون ، هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م .

- ١٣- شرح الكافية : رضى الدين محمد بن الحسن الاسترأبادى (ت : ٦٨٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ١٤- شرح المفصل ، موفق الدين يعيش بن على بن يعيش (ت : ٦٤٣ هـ) ، مكتبة المنتبى ، القاهرة ، د.ت .
- ١٥- الصاحبى فى فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب فى كلامها ، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
- ١٦- الصورة الشعرية ، سيسيل دى لويس ، ترجمة : أحمد نصيف الجنابى وآخرين ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢ م .
- ١٧- الكتاب لسيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٨٠ هـ) ، خمسة أجزاء ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ج ١ (١٣٩٧ هـ) ، ج ٢ (١٣٩٩ هـ - ١٩٨٩ م) ، ج ٣ (١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م) ، ج ٤ (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) ، ج ٥ (١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م)
- ١٨- اللغة العربية معناها ومبناها ، د . تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٣ ، ١٩٨٥ م .
- ١٩- المساعد فى تسهيل الفوائد ، شرح التسهيل ، بهاء الدين بن عقيل ، تحقيق د. محمد كامل بركات ، طبعة جامعة أم القرى ، السعودية ، ١٩٨٢ م - ١٤٠٢ هـ .
- ٢٠- معانى القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت : ٢٠٧ هـ) ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتى ، ومحمد على النجار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .
- ٢١- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصارى (ت ٧٦١ هـ) تحقيق : محمد محبى الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٢ م .
- ٢٢- المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ط ٣ ، ١٩٩٤ م .
- ٢٣- المقرب ومعه مثل المقرب ، أبو الحسن على بن مؤمن بن محمد بن على بن عصفور (ت : ٦٦٩ هـ) ، تحقيق ودراسة : عادل أحمد عبد الموجود ، وعلى محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
- ٢٤- النقد الأدبى الحديث ، د. محمد غنيمى هلال ، نهضة مصر ، د.ت .
- ٢٥- الواو ومواقعها فى القرآن ، محمد أمين الخضرى ، رسالة دكتوراه ، جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية ، ١٤٠٣ هـ .